محاضرة شعوب سوريا القديمة 01

- الكنعانيون:

1-التسمية:

اختلف المؤرخون في أصل تسمية الكنعانيون فقد قيل بأنه يعود إلى الاسم الأكدي **(كناجي أو كناخني)** الذي أطلقه البابليون عليهم والذي ظهر في رسائل (تل العمارنة) في مصر، والذي يعني اللون الأحمر الأرجواني، وفي مصر ورد اسم (بي كنعان) للدلالة على المناطق الجنوبية والغربية من سوريا، وكذلك استعمل المصريون منذ عصر الدولة القديمة كلمة **(فنخو)** للدلالة على شعب من شعوب الشام، وقد يكون أن الإغريق استعملوا هذا اللفظ وحوروه الى **(فويفكس)** للدلالة على (فينيقيا).

اما لدى العبرانيون (بنو اسرائيل) فكلمة "**كنع**" تحمل معنيين الاول هو انخفض والمعنى سكان البلاد المنخفضة وهي الارض القريبة من نهر الأردن والمعنى الاخر هو بلاد الارجوان، وهي في اللغة العربية تحمل نفس المعنى ، والكنعانيون أنفسهم كانوا يطلقون هذا اللفظ أيضا فقد جاء اللفظ الكنعاني في نص الملك (أدريمي) ملك (الالاخ)، والحوريون الذين سكنوا شمال سوريا كانوا يطلقون كلمة (كناجي) أي الصبغة الأرجوانية أو القرمزية التي اشتهر الكنعانيون بصناعتها.

أما الاغريق المتأخرين في الزمن فربما اخذو الكلمة المصرية "فنخو" وحوروها إلى فنيكس، وربما ترجموا كلمة كناجي الحورية او الاكادية للدلالة على اللون الاحمر الارجواني وأطلقوا على السكان اسم **الفنيقيون**، وذلك في الالف الاولى قبل الميلاد، أما الرومان فقد استعملوا كمة بونيpoeni للدلالة على الفينيقيين الغربيين أي القرطاجيين، بينما اطلق كلمة فوينيقي phenices على الفنيقيين في الشرق.

وقد سكنوا هؤلاء الكنعانيون المناطق الممتدة من فلسطين حتى تقدموا باتجاه الشمال منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد إلى ساحل صور وصيدا وجبيل وارواد وصولاً إلى الشمال السوري ومنها اوغاريت وأصبحوا يتكلمون لغة واحدة نجد اقدم اشكالها على الرقم الطينية بحروف مسمارية أكدية أول أبجدية في التاريخ.

2 – مراحل تاريخ الكنعانيون :

– وجودهم في شبه الجزيرة العربية بين 4000 و3000 ق.م :

تذكر مختلف التقديرات أن القبائل السامية التي ينتمي إليها الكنعانيون كانوا متواجدين في شبه الجزيرة العربية فيما بين 4000 و3000 ق.م، وقيل بأنهم هاجروا في حوالي 2500ق.م باتجاه الصحراء السورية– العراقية، فانقسموا هناك الى قسمين: "الأموريين" الذين بقوا في تلك الصحراء ثم اختلط قسم منهم بأهل العراق القديم، والقسم الاخر استمر في هجرته نحو سواحل المتوسط وهؤلاء هم الكنعانيون.

وقد ذكرت أراء أخرى أنهم كانوا متواجدين بسواحل الخليج العربي ومن هناك هاجرو إلى جنوب العراق ثم بلاد الشام، وذلك اعتماد على ما ذكره المؤرخ الاغريقي استرابون الذي قال إن سكان الخليج العربي كانوا يسمون مدنهم بأسماء كنعانية مثل (صور، صيدا، أرواد، جبيل) ورجح أن تكون تلك المدن أقدم من التي على سواحل المتوسط، كما أن معابدهم القديم تتشابه مع معابد الكنعانيين.

بينما يذكر هيرودوت يقول أنهم قدموا من سواحل البحر الأريتيري (الأحمر)، وتشير مصادر اخرى وجدت في منطقة رأس شمرا في سوريا أن سكانها قدموا من شبه جزيرة سيناء أو من صحراء النقب، ومن جزيرة العرب ومن سواحل البحر الأحمر معاً، ونشير الى وجود اراء تعتبر انهم والمصريون حاميون وأنهم من أصل واحد.

ووفق ما يذكر الباحث خزعل الماجدي فإن الأموريون انقسموا إلى ثلاثة اقسام :

– الأموريون الذين كانوا يسكنون حول نهر الفرات الأعلى اتجهوا نحو المناطق المرتفعة و الجبلية في شمال العراق و سوريا وعرفوا باسم **(الآراميين)** .

– الأموريون الذين كانوا يسكنون حول نهر الفرات الأوسط والذين بقيوا يجوبون الصحراء العراقية والسورية، وتشكل منهم البدو الذين أطلق عليهم السومريون اسم مارتو **(أي الامورين)** واللفظ يعني الساكنين غرب الفرات.

– الأموريون الذين كانوا يسكنون حول نهر الفرات الجنوبي وبمحاذاة سواحل الخليج العربي واتجهوا الى بلاد الشام وسواحل المتوسط وهؤلاء هم **الكنعانيون.**

– المرحلة الشامية 3000– 1200 ق. م:

– فترة تأسيس المدن : 3000–2400 ق.م :

بدأت الهجرة الكنعانية من السواحل العراقية للخليج العربي وضفاف الفرات الجنوبي نحو سواحل البحر المتوسط (سوريا ولبنان) مع بداية الالف الثانية قبل الميلاد، وأسسوا مدن منها: رأس شمرا ، أوغاريت، أرواد، جبيل، صيدا، صور، وهاجرت مجموعة اخرى إلى فلسطين ، وقد أسسوا مدنا في الداخل مثل : قادش و بيت شان وشكيم وأريحا ويبوس (أورشليم وهي القدس الحالية) وبئر سبع و مجدو والسامرة وبيت لحم و حبرون و عجلون...، ومدنا ساحلية مثل (عكا و يافا و غزة ...، ومما لا شك فيه أن الكنعانيون ليسو هم أول من سكن هذه الارض بل سكنها قبلهم شعوب أخرى تركت أثار مختلفة في المنطقة، لكن الكنعانيون اندمجوا مع السكان الاصليون وكونوا أمة واحدة، وقد بلغت عدد المدن التي اسسوها حوالي135 مدينة وحوالي 1200 قرية.

– فترة النفوذ المصري أو السومري – الاكادي 2400. 1500ق م

ابتدأت فترة النفوذ المصري على الساحل الشرقي للبحر المتوسط مع بداية الأسرة السادسة فقد قام الملك " تي" بتجهز جيشا لمواجهة قطاع الطرق في فلسطين أو لرد هجمات السومريين التي قام بها "لوكال زاكري" أو الملك الاكادي "سرجون"، وفي تلك الفترة كانت المنطقة مستقلة إلا في بعض الفترات التي قام فيها المصريون أو السومريون والاكاديون بغزوات مؤقتة عليها،ومن تلك الغزوات حملة ارسلها الفرعون "ساحورع" وهو من ملوك الاسرة السادسة الى بيبلوس وهي جبيل الحالية ، وكانت

حملة بحرية كبيرة فيها 40 سفينة، وفي ذلك الوقت برزت عدة ممالك منها: أوغاريت[1]، رأس شمرا و جبيل، ومملكة يمخاض ، والالاخ .

- فترة الصراع المصري -الحوري - الحيثي (1500- 1200) ق م:

كان الملك الحيثي "حاتوشاليش الأول" الذي حكم بين 1530 و 1570ق م قد مهد للنفوذ الحيثي في شمال سوريا عندما أخضع مملكة يمحاض (حلب) لسلطانه، وقام الميتانيون بالتدخل في المنطقة أيضا حيث مدو نفوذهم داخل الساحل الكنعاني، وحرضوا الامراء على الانفصال وكان ذلك في عهد الملكة حتشبسوت، لكن الملك المصري "تحتمس الثالث" الذي حكم بين 1502 و 1450 ق.م استطاع استرداد النصف الشمالي من سوريا وقاد سبعة عشر حملة احتل في آخرها حصن قادش (حمص)، حيث أدب هذه المدينة التي تزعمت حلف مناوئ للمصريين.

وبقيت الحروب بين الحيثيين والمصريين حتى بعد وفاة "تحتمس الثالث" ومجيء "تحتمس الرابع" ، ولكنها هدأت وانتهت تقريبا بعد أن تزوج فرعون مصر "أمنحوتب الثالث" من ابنة الملك الحوري(الميتاني) "شوتارنا" وأنجبا ولدا هو (أخناتون) الذي تنازل لأخواله عن حكم شمال سوريا، وفي ضل ضعف نفوذ المصريين استطاع الملك الحيثي "شوبيلو لياما" الاستيلاء على بيروت وجبيل دون ان يرد الفرعون اخناتون.

و اغتنم تلك الفترة ملك طامح هو "عبدي عشيرتا " هذا الوضع ووحد الإمارات الكنعانية والأمورية وانفرد بشمال سوريا، وبقيت البلاد هكذا حتى اعتلى عرش مصر "سيتي الاول" 1315- 1301 ق. م، فقاد جيشه واحتل جنوب فلسطين و مجدو وحوران ولبنان...، ثم أبرم صلحا أقر به الحيثيون سيطرة المصريين على جنوب بلاد

---

[1] تقع بقايا أوغاريت القديمة اليوم في تل "رأس شُمرة" حوالي عشرة كيلومترات الى الشمال من مدينة اللاذقية السورية ، وقد وصفت بأنها اول ميناء دولي في التاريخ ،حيث لعبت دوراً مهماً في التجارة الدولية وهذا ما جعلها اهم مركز حضاري في سورية في الألف الثاني ق. م، وقد ورد ذكرها في النصوص المصرية القديمة مثل مراسلات تل العمارنة .

الشام، في حين تركت شمال بلاد الشام للحيثيين، واستمر الهدوء لمدة قرن من الزمان.

فترة تدمير المدن : الغزو الفلستي والآشوري والعبري (1200- 1000) ق. م

- **الغزو الفلستي** : سقطت الدولة الحيثية عام 1207 ق. م، على يد قبائل غريبة عن المنطقة هاجمت من الغرب والشمال الغربي، ويعتقد أن هذا الغزو كان جزءا من حركة الغزو والهجرة التي كانت تقوم بها القبائل الإغريقية من وسط وشمال أوروبا نزولا الى بلاد اليونان واستمرارا الى آسيا الصغرى وسواحل المتوسط الشرقية، ففي عهد الملك "ارنوواندا الثالث" الذي حكم بين 1209-1207 ق.م ، انفصلت الاجزاء الغربية عن الدولة ، وحدثت تحركات سكانية كبيرة واعمال تخريب وسلب وتدمير واسعة للمدن نتيجة لغزو تلك الشعوب الهمجية، ووصل الخطر الى العاصمة حاتوشا ، حيث دخلتها تلك القبائل الهمجية وقضت بذلك على الدولة الحثية.

والمعلوم أنه هاجرت مجموعات أخرى شواطئ بلاد الاناضول واليونان وركبت البحر وعزو هؤلاء قبرص وكريت، وهم الذي عرفوا باسم شعوب البحر وقد تحالفوا مع قبائل ليبية من أجل غزو مصر لكنهم فشلوا امام قوة رمسيس الثالث، ونتيجة للهزيمة توجه جزء منهم إلى بلاد كنعان حيث التقوا مع مجموعات اخرى قادمت من الشمال واحتلوا كامل الساحل، واشهر هؤلاء الاقوام شعب يدعى "الفلست" ، وهو الذي اطلق اسمه على البلاد، بينما ضل الساحل اللبناني والسوري بيد الكنعانيين الذين اصبح يطلق عليهم اسم **الفنيقيين**، وبعد فترة قصيرة من مجيئ "الفلست" الى بلاد كنعان جاء "العبرانيون" الذين خرجوا من مصر في عهد سيدنا موسى عليه السلام .

ووفق لما يذكر خزعل الماجدي فان غزوات شعوب البحر انقسمت إلى ثلاث اقسام:

- من اليونان باتجاه أسيا الصغرى : وهم قبائل الفريجيين والمسيين والكاشكيين الذي دمروا الامبراطورية الحيثة

– من كريت وقبرص باتجاه مصر : وهم قبائل الشردن واللوكية ، والميسية ، قاموا بغزو بري وبحري لمصر بالتعاون مع القبائل الليبية، وهزموا على يد الفرعون رمسيس الثالث.

– من كريت وقبرص باتجاه بلاد كنعان : وهم الفلست ، الليرية ، والزكارية ، وانضمت اليهم قبائل مهزومة من مصر، وقد دمرت هذه الشعوب المدن الساحلية الكنعانية، فاستقر الفلست في خمسة مدن هي: عكا ، اسدود ، عسقلان ، جت ، غزة ، وأصبحت أسدود عاصمة لهم، وقد اصبحت هذه المملكة مضادة للعبرانيين عندما قدموا الى المنطقة.

وبالتالي انقسم الساحل الكنعاني الى قسمين : القسم الشمالي (لبنان الحالي)ضل بأيدي الكنعانيين، بينما تقاسم القسم الجنوبي كل من الفلست والعبرانيين والى جانبهم بعض الكنعانيين الذين اختلطوا بهم.

الغزو العبري: استطاع العبريين(بنو اسرائيل) في عهد شاؤول(داوود) أن يسيطروا على المدن الداخلية من فلسطين عدا الساحل منها، وكان ذلك فيما بين 1000 و 961 ق.م حيث ضم اجزاء من فنيقيا ، لكن "بيبلوس" ظلت مستقلة لان ملكها "احيرام" كانت له علاقات مع سليمان عليه السلام، ولكن مملكتهم قد انقسمت بعد عهد سليمان الى قسمين هما : السامرة ويهودا، أما السامرة فقد استمرت حتى سقطت على يد الأشوريين في عهد "سرجون الثاني" ، بينما سقطت مملكة يهودا بعد ذلك على يد "نبوخذ نصر" الكلداني في عهد الامبراطورية البابلية الثانية.

الغزو الآشوري: بعد سقوط الإمبراطورية الحيثية بيد شعوب البحر بدأ الاشوريون في التوسع فاجتاحوا جنوب سوريا، وفرضوا سيطرتهم على الساحل الكنعاني في عهد الملك الآشوري "تجلات بلاسر الأول" 1100 ق.م فقدمت له الجزية ارواد وبيبلوس وصيدا، كما غزاها كل من اشور ناصر بال الثاني سنة 876 ق.م، و "شلمناصر الثالث" و"أدد نيراري الثالث " سنة 805 ق.م ، وكذلك كل من "سنحريب" سنة 701 ق.م و"أشور بانيبال" أيضا.

المرحلة الفينيقية 1200- 232 ق م:

بعد أن دمرت معظم المدن الكنعانية الداخلية والساحلية على أيدي الغزاة المختلفين من "الفلست" و"العبرايين"" والآشوريين"، دخلت المنطقة مرت أخرى تحت سيطرة الغزاة المصريين ثم الاشوريين مرة اخرى و الكلدانين ثم الفرس فالرومان، وبعد كل ذلك فقدت البلاد هويتها الكنعانية.

الفينيقيون في غرب البحر المتوسط :

في حوالي 1200 ق.م بدأ الفنيقيون بالخروج من بلادهم التي كانت تتعرض على الدوام للغزوات الخارجية ، كما أن صعوبة التنقل بين المدن جعلتها تعيش في عزلة عن بعضها ، لذا اتجه الفينيقيون إلى البحر وقد ساعد توفر الاخشاب على وفرة صناعة القوارب والسفن، ومع مرور الوقت تمكن الفينيقيون من إنتاج سفن مطورة كبيرة الحجم تستطيع الإبحار في المحيطات مبتكرين أساليب جديدة في ركوب عباب البحر.

وتعرفوا على مناطق مختلفة وكانوا يمتهنون التجارة البحرية، حيث يعتبر الشعب الفنيقي من أوائل الشعوب التي ركبت البحر، وكانوا كلما يصلون إلى منطقة ينشئون فيها مراكز استراحة للمتاجرة مع السكان الاصليون وللاستراحة أو الاستقرار فيها، وبعد مرور الوقت اصبحوا يعرفون كل الطرق المؤدية إلى مختلف بقاع العالم القديم.

ولم يكن الابحار عند الفينيقيين لأجل التجارة فقط ، بل كانوا يهاجرون ويستقرون في بعض الاماكن التي يطيب لهم العيش فيها وذلك في شكل هجرات فردية وجماعية منظمة او غير منظمة ، وكانت أولى الهجرات الفينيقية باتجاه بلاد الإغريق فقد ذكر هيرودوت اسطورة "قدموس وإخوته" الى جزيرة "ثيرا" ، ثم جاء ذكر "كيليكس" الذي أقام في "كليكيا" بالأناضول، كما كانت المدن الفنيقية تنظم هجرات وحملات استكشاف .

جزر البحر المتوسط : كجزيرة **كريت** وكذلك جزيرة **قبرص** التي خضع جزء منها لملوك صور، حيث اسسوا مراكز ومدنا فيها [2]، بالإضافة إلى جزيرة **صقلية ومالطا**، منها: (سيلينونتي) و (موتيا) و (بالرمو) و(سولونتو) في صقلية، وفي **سردينيا** أسسوا مدن أخرى منها (نورا، سوليس، كارلوفورت، ثاروس) كما استوطنوا **جزيرة كورسيكا** وجزر (البليار) وجزر يحر إيجة مثل: تكوس، كيثيرا، ميلوس، ثيرا.

وفي **سواحل البحر الأبيض المتوسط** وصل الفينيقيون إلى **اسبانيا** في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، حيث أنشئوا مدينة قادس عام 1110 ق م، كما أنشئوا مدينة تارتيتوس جنوب غرب أسبانيا التي عرفت ب "ترشيش"، ووصل الفينيقيون الى **اليونان** في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وأنشئوا مدن مثل (كومايس المعروفة الآن بكوماي) و كورنثوس وساموس ، كما نزلوا **أسيا الصغرى**.

أما **في شمال افريقيا** فقد كان وجودهم قديم حيث اسسوا عدة مراكز وكانوا يتاجرون مع السكان الاصليون، فقد أسسوا في ليبيا مدينة أويا وهي مدينة طرابلس الحالية، ومدينة صبراتة وهي مدينة صبرا الحالية، ومدينة لبكي وهي مدينة (لبدة) الحالية ومدن أخرى، وفي **السواحل التونسية** أسسوا مدينة أوتيكا عام 1100 ق م، ومدينة هاردميتم أو حضرموت و مدينة هيبون وهي عنابة وتابسون وهي تبسة وقرطاجة التي تأسست سنة 814 ق.م، وفي **الجزائر** اسسوا مدن منها : كرتا وهي قسطنطينية ومدينة تشوللو و جيجلي وهي جيجل وتيباسا وجواريا(قرب بجابة) ومدينة ميليللا وليكسوس على الساحل الأطلسي، ومدينة طنجة.

---

[2] انطلق الفينيقيون في رحلاتهم البحرية نحو قبرص منذ الألف الثانية قبل الميلاد باعتبارها تمثل مركز تجاريا لهم ، فأسسوا بها العديد من المستوطنات في كل من "كيتون" و"ايداليون" وحسب ما أورد المؤرخ اليهودى يوسيفوس ، فإن الملك "أحيرام" ملك صور كان قد قضى على حركة عصيان خلال القرن العاشر ق.م، في إحدى المستوطنات التابعة لصور ، وهي كيتيون بقبرص والقريبة من الساحل الفينيقي